الباب الثانى
التوتروالخلافات

أسباب الخلاف العربى الإيرانى

بعد ظهور التشيع لآل البيت وانتشاره فى فارس قديماً (إيران حالياً) أصبح العداء مستفحلاً بين الدول السنية والشيعية ظاهراً تارة ومستخفيا تارة أخرى متخذا ذرائع بعيدة عن العقيدة فمن أسباب التوتر بين إيران الشيعية والدول العربية التى أكثرها سنة ما يلى:

- قضية خوزستان أو عربستان .
- قضية الجزر الإماراتية .
- الحرب العراقية الإيرانية.
- الإختلاف المذهبي.
- التطوير النووي لدى إيران.
- تحالفات دول المنقطة مع أمريكا .
- الأثر النفسى السئ الناتج عن معاملة المسلمين الأول للفرس على انهم موالى٠
- الأثر النفسى السئ الناتج عن التبعية العربية للفرس وسوء معاملة الفرس لهم واعتبارهم عبيد لكسرى٠

وإلى شئ من التفصيل:-

قضية خوزستان أو عربستان .

مساحة عربستان ٣٢٤ ألف كيلو متر مربع أي تساوي تقريبا مساحة سوريا ولبنان والأردن وفلسطين مجتمعة وهي تقريبا ربع مساحة إيران ١.٦٤٠.٠ كيلو متر مربع لكن الجغرافيا تقول أيضا إن ٨٠% من المساحة الإيرانية صحاري جرداء، بينما أراضي عربستان شديدة الخصوبة وترويها خمسة أنهار كبيرة تنبع من جبال زاجروس وجبال البختياري وأهم هذه الأنهار نهر الكارون ونهر الكرخة ونهر الجراحي وهي تخترق أراضي عربستان لتصب في الخليج العربي، وهناك أيضا عدد من البحيرات تمتد لآلاف الكيلومترات المربعة وهي مصدر حيوي لمزيد من المياه وللصيد وباختصار فإن عربستان تمتلك نصف المخزون العام من مياه الري والشرب لإيران وقد أقامت الحكومة الإيرانية قرابة العشرين سدا علي هذه الأنهار لتستخدم مخزونها من المياه في الري وفي مياه الشرب لمختلف محافظات إيران، بينما ـ وهذه مفارقة مؤسفة ـ تترك عربستان دون مياه شرب نقية ومن هذه السدود تولد كميات هائلة من الكهرباء، تنقل مباشرة لتضيء الشوارع والمنازل ولتشغيل المصانع في المناطق الإيرانية، بينما تترك كل عربستان بلا إضاءة وبلا مصانع، ومادمنا في ساحة الجغرافيا فإننا نري أن أغلب الموانيء والمنافذ البحرية التي تصل إيران بالعالم الخارجي تقع أيضا في عربستان.

ثم نأتي بعد ذلك إلي الاقتصاد ونستعين بالأرقام الإيرانية الرسمية، التي توضح أن عربستان تنتج ٥٠% من الإنتاج الإجمالي لإيران من

القمح ٩٠.٠% من إنتاج التمور ولأن الأرقام الرسمية الإيرانية تتجاهل ذكر أرقام محددة عن مساهمة عربستان في إجمالي الدخل العام لإيران فإن مصادر محايدة تقول أن حصة عربستان من إجمالي المحاصيل الزراعية والمياه والموانيء والبترول والغاز تمثل أكثر من ٤٠% من مجموع الناتج الإجمالي الإيراني، ورغم ذلك فإذا كان مجمل سكان الجمهورية الإيرانية ٧٠ مليون نسمة فإن ١٢ مليونا منهم أي مواطني عربستان، يعيش أغلبهم تحت خط الفقر بكثير، وإذا كانت الأرقام الرسمية الإيرانية تقول إن ١٣% من السكان في عام ٢٧ يعيشون في فقر مدقع فإن عملية حسابية بسيطة توضح أن الغالبية العظمي من هؤلاء هم من سكان عربستان. (١)

وتتضاعف أهمية ثروات عربستان بالنسبة لإيران إذا علمنا أن هذه المنطقة تنتج ٨٥% من البترول والغاز الطبيعي لإيران وما يقارب ٧٥% من إنتاج إيران من الكهرباء وبالتالي فإن هذا البترول المتدفق ليضخ لإيران أهم ثرواتها ٤ ملايين برميل يوميا بما يضع إيران في المرتبة الثانية لدول أوبك، بالإضافة إلي أن كميات الغاز الطبيعي الهائلة تأتي من عربستان بينما يحرم سكانها من أبسط مقومات الحياة ولعل هذه الأرقام

---

١) جريدة الشرق الأوسط ـ ١٣ ـ ٨ ـ ٢٧.

هي التي تدفع الجمهورية الإيرانية الإسلامية إلي نسيان أي شيء في سبيل قهر الشعب الأحوازي وإسكات صوته وإسكات أي صوت عربي للدفاع عنه ويجري اضطهاد سكان عربستان اضطهادا منظما ومستمرا ومنهجيا بما دفع حوالي ٤ ألف من أبناء عربستان أي ٥% منهم للهجرة إلي الخارج.

وأسوأ الحلول فهو ما تصمم عليه إيران فهي تقول أنها تواجه الاحتلال الصهيوني للشعب الفلسطيني المسلم بينما هي تضطهد شعب عربستان المسلم وتقول أنها تواجه الامبريالية الأمريكية التي تحرم شعوبا مسلمة من حريتها ومن حقها في تحرير المصير بينما هي تفعل نفس الشيء بالنسبة لشعب عربستان وهي تعلن أنها ترفض احتلال أمريكا للعراق بينما وعلي بعد خطوات من العراق تمارس احتلالا شديد القسوة لشعب آخر وأخطر ما يواجه إيران في هذه الظروف الدولية الصعبة هو أن تفقد مصداقيتها أمام شعوب المنطقة وتتبدي ليس كقوة تحرير وتقدم وتوحيد للمنطقة، وإنما كقوة احتلال وتخلف وتمزيق للمنطقة ومن ثم لامناص من إعادة الأرض لأصحابها والحرية لشعبها أما بقية العناصر فسوف نسرد عنها شيئاً من التفاصيل ولكن فى موضعه من التصنيف والتبويب

الخلاف العقائدى

الخلاف السني الشيعي خلاف تاريخي بين أكبر طائفتين إسلاميتين، أهل السنة والجماعة والطائفة الشيعية والخلاف بين الطائفتين يتركز في عدة أمور، منها ما هو متعلق بالعقيدة ومنها ما هو متعلق بالمسائل الفقهية والنقاط الرئيسة للخلاف :-

١- الخلافات العقائدية وتركزت نقاط الخلاف فى بعض المسائل منها عدل الصحابة والإمامة والعصمة ورأيهم فى السيدة عائشة وجواز الاستعانة والاستغاثة بغير الله فعند الشيعة العصمة للأنبياء وأهل البيت والأئمة الإثنى عشر وعند السنة للأنبياء فقط-عدالة الصحابة عند الشيعة بعضهم عادل والبعض الآخر منافق أو مرتد وعند السنة كلهم عدول، وحبهم واجب- أم المؤمنين عائشة عند الشيعة يرون انها خالفت شرع الله وخرجت على امام زمانها ولم تحقن دماء المسلمين وكانت تؤذي الرسول وعند السنة عائشة أم المؤمنين، ويترضون عنها، وأنها أحب الناس إلى الرسول، وأنها بريئة مما نسب إليها في حادثة الإفك والإمامة فعند الشيعة الإمامة منصوص عليها ومحددة من قبل الله وعند السنة الإمامة لم يتم تحديدها من قبل الله وأن الإمامة فضل من الله يتفضل به على من يشاء من عباده وليست خاصة لأحد

- الاستغاثة والتوسل فعند الشيعة تجوز الاستغاثة بغير الله ، ويعتقدون أن أئمتهم يعلمون الغيب بإذن الله وعند السنة لا واسطة بين الله وبين عباده، ولا يرون جواز دعاء غير الله أو الاستغاثة بغيره، وأنه لا يعلم الغيب إلا الله وأن الدعاء والطلب لا يكون إلا لله تعالى ولا يجوز لغيره، وأنه هو وحده الذي يملك الخير والشر، فليس لأحد معه سلطة ولا تصرف، حيا كان أو ميتا

٢- الخلافات الفقهية وتتركز في بعض النقاط منها :-

- مسألة الخمس

- السجود على التربة الحسينية، حيث يؤمن الشيعة بعدم جواز السجود أثناء الصلاة الا على الأرض من رمل وحجر وتراب وكذلك على ما تنبت الأرض من غير المأكول ولا الملبوس، وان السجود على الملابس والاقمشة والأفرشة من سجاد ونحوها وكذلك على المعادن أمر غير جائز، بينما يرى أهل السنة والجماعة أن هذا من الأمور المحدثة في الدين، حيث لم يفعلها الرسول ولا الصحابة بما فيهم علي والحسين.

-مسألة وضع اليدين على الصدر في الصلاة: حيث يرى أهل السنة والجماعة أن من السنّة وضع اليدين على الصدر في الصلاة (اليمنى فوق اليسرى)، بينما لا يرى الشيعة ذلك.

تاريخ الخلاف

يرى البعض أن جذور الخلاف الرئيسي بين السنة والشيعة تعود إلى أكبر وأول أزمة مر بها التاريخ الإسلامي، وهي الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان بن عفان، هذه الفتنة وما خلفته وراءها من نزاعات عنيفة لاسيما بين معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب الخليفة الراشد الرابع كانت السبب الرئيسي وراء تفتت المسلمين وكان الموقف الأساسي لمعظم الصحابة هو محاولة إنهاء هذه الفتنة وأخذ موقف حيادي من النزاع، ولعل أكبر ممثل لهذا الاتجاه عبد الله بن عمر الذي صرح بهذا الموقف مرات عديدة هذه الحيادية، وإن كانت تميل في الكثير من الأحيان لإعطاء الأحقية في النزاع لعلي دون معاوية، إلا أنها في النهاية تنحو نحو المساواة بين كافة الصحابة وعدم الخوض في تفسيق أحد أخذاً بالقول أن (المجتهد إذا أخطأ فله أجر، وإذا أصاب فله أجران) فالانقسام في تلك الفترة بدأ على أنه سياسي، والبعض يرى أن لعبد الله بن سبأ ضلع كبير في الفتنة لكن الخلاف أصبح عقائدياً، والبعض يتهم الدولة الصفوية بإثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين

الصدامات في حقب التاريخ

على مدار التاريخ حدثت العديد من الصدامات بين الشيعة والسنة تبادل فيها كلا الطرفين الإتهامات فيرى الشيعة اضطهاد سني لهم في التاريخ،

خصوصاً في العصر الأموي والعباسي والعثماني، وفي مقابل هذا الاضطهاد قامت ثورات شيعية أشهرها ثورة القرامطة وثورة النفس الزكية وغيرها ولكن الصدام الذي تسبب في شق وحدة المسلمين كما يرى حسن العلوي وعلي شريعتي هو صراع الدولة العثمانية مع نظيرتها الصفوية، فالدولة الصفوية استغلت اضطهاد العثمانيين للشيعة واستمالت بعض رجال الدين البارزين في تلك الفترة أمثال علي الكركي الذي أصبح الحاكم الفعلي في زمن الشاه طهماسب، فعمل على تأليف كتابه الشهير نفحات اللاهوت في شتم الجبت والطاغوت الذي اعتبره الكاتبان حسن العلوي وعلي شريعتي بداية الخلاف العقائدي ويقول حسن العلوي أن المرجع الشيعي في النجف في تلك الفترة إبراهيم القطيفي عارض بشدة علي الكركي وصنف حسن العلوي إبراهيم القطيفي في خانة التشيع العلوي.

وكانت هناك فتاوى في تكفير السنة للشيعة، فبعض علماء المدرسة السلفية يكفرون شخصيات بارزة في الطائفة الإثنا عشرية.

و هناك من السلفية من يعارض التقارب ويرفضون المعتقد الاثنا عشري مستندين لأقوال قدامى علماء السنة مثل: البخاري ومالك والقرطبي وأحمد بن حنبل وابن كثير ، وأئمة السنة من الصوفية مثل أبوحامد الغزالي وعبد القادر الجيلاني ، وأبو الحسن الأشعري والإسفراييني

وهناك معتدلون من الطرفين قال حسن العلوي عن محمد حسين فضل الله انه شكك في كثير من الروايات التي تبغض الصحابة وأيضاً كان لمحمد حسين كاشف الغطاء رأي مختلف واتضح هذا جلياً في كتاب أصل الشيعة وأصولها، وعبد الحسين شرف الدين وهناك أيضا المؤرخ الشهير هاشم معروف الحسني وغيرهم، وأصدرت إيران قرارها بمنع طباعة ثلاثة أجزاء من بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي الذي يسئ للصحابة وقام العديد من العلماء بمحاولة التقريب بين المذاهب بدأها محمد عبده وجمال الدين الأفغاني وتبلورت بتأسيس جمعية التقريب بين المذاهب و شجع العديد من علماء السنة هذا الاتجاه مثل محمود شلتوت، وأصدر الأزهر فتواه الشهيرة بصحة التعبد بالمذهب الأباضي والشيعي الاثنا عشري والزيدي

الصراع في العصر الحديث

وفي العصر الحاضر ساعدت الثورة الشيعية في إيران الجماعات الشيعية في الدول العربية على تأجيج الخلاف بين السنة والشيعة بعد فشل الثورة في الخروج من حدود إيران كما أخذت المواجهة بين السنة والشيعة تتراوح بين صراع فكري يتمثل في محاولة استقطاب الفريقين لأكبر كم من الأتباع من الفريق الآخر، إلى الصراع السياسي والمواجهات المسلحة على سبيل المثال يعزي المحللين التفجيرات في

المدن العراقية نتيجة صراع بين الجماعات السنية مثل تنظيم القاعدة وغيرها وبين التيار الشيعي الصدري مقتدى الصدر وكذلك الصراع بين الحكومات السنية وجماعات حزب الله الشيعية في لبنان والبحرين والكويت، وسبب هذا الصراع رغبة كل جماعة فرض سيطرة مذهبها في أوسع نطاق ممكن من العراق والدول المحتوية على نزاعات وربما بتأثيرات إقليمية كما يراه المحللون مثل محاولة تمثيل نفوذا سياسيا لإيران في الدول العربية وكذلك التمييز الديني الذي يعانيه الشيعة من الإثنا عشرية والإسماعيلية في المملكة العربية السعودية وما يعانيه السنة الإيرانيين في جمهورية إيران بعد الثورة من اضطهاد وتميز مذهبي ضدهم وبالرغم من هذا فأن أكثر الدول يتعايش الشيعة والسنة فيها بشكل قد يخلو تقريبا من الحدة أو النزاع المسلح تماما وخصوصا في الإمارات والكويت والمملكة العربية السعودية وعمان والعراق قبل الغزو ونجد على النقيض من ذلك العراق بعد الغزو وإيران ولبنان

عرب ايران

إقليم الأحواز وبالفارسية اهواز هو إقليم عربي يقع على السواحل الشرقية للخليج العربي، ابتداءً من مضيق هرمز إلى شط العرب كان الإيرانيون في الماضي يسمونه عربستان أي بلد العرب تمثل هذا الإقليم تقريباً محافظات إيران الثلاثة: محافظة خوزستان ومحافظة هرمزگان و

محافظة بوشهر.

فالأحواز هي جمع لكلمة حوز، وهي مصدر للفعل حاز، بمعنى الحيازة والتملك، وهي تستخدم للدلالة على الأرض التي اتخذها فرد وبين حدودها وامتلكها والحوز كلمة متداولة بين أبناء الأحواز فمثلا يقولون هذا حوز فلان، أي هذه الأرض معلومة الحدود ويمتلكها فلان وعند الفتح الإسلامي لفارس أطلق العرب على الإقليم كله لفظ الأحواز، وأطلقوا على العاصمة سوق الأحواز للتفريق بينهما أما الأهواز فهو اللفظ الفارسي لعجمة لسانهم، وإن كان هذا اللفظ قد تسرب إلى بعض الكتب العربية وفي العهد الصفوي سماه الفرس عربستان أي القطر العربي أما خوزستان فهو الاسم الذي أطلقه الفرس على الإقليم وهو يعني بلاد القلاع والحصون تلك التي بناها العرب المسلمون بعد معركة القادسية، وسمي به الإقليم مرة أخرى بعد الاحتلال الفارسي بأمر من رضا شاه عام ١٩٢٥م ويذكر الباحث الإيراني أحمد كسروي في تاريخ خوزستان في خمسمئة عام أن التاريخ الجيولوجي لأراضي كل من الأحواز والسهل الرسوبي من العراق متماثل، حيث تكونا من ترسبات نهري دجلة والفرات ونهر كارون وتفرعاته وهو ما أدى إلى ظهور الأراضي على جانبي شط العرب، وكونت بذلك مع سهول بلاد العراق وحدة قائمة بذاتها لها خواص مناخية متشابهة ويؤكد أن العلاقات المكانية الطبيعية التي تربط بين عربستان وإيران تكاد تكون معدومة؛ إذ ليست هناك أي علاقة

في التكوين الطبيعي بين سهل عربستان وهضبة إيران الجبلية ويمتد الإقليم ما بين جبال زجروس ذات الممرات الجبلية الضيقة حيث تفصل هذا الإقليم عن بلاد الفرس والخليج العربي ويقول د. صلاح العقاد: أما الساحل الشمالي الشرقي الذي يكوّن الآن الساحل الإيراني، فيمتد على طوله نحو ألفي كيلومتر: سلسلة عالية من الجبال الصعبة المنافذ إلى الداخل، مما عزل سكان الفرس والسلطة المركزية فيها عن حياة البحر ولقد اشتهر الفرس منذ غابر الزمن بخوفهم من حياة البحار، حتى قال بعض مؤرخين العرب ليس من الخليج شيء فارسي إلا اسمه وعلى ذلك فإن ذيوع اسم الخليج العربي الآن قد جاء موافقا لحقيقة جغرافية ثابتة فيما قامت بينه وبين العرب أوثق الصلات قبل الإسلام وبعده وسكنت الشعوب السامية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية هذا الإقليم منذ فجر التاريخ.

وأكثر الأحوازيون اليوم ينحدرون من أصول عربية ويليهم اللور نسبة إلى لورستان المجاورة ثم الفرس و تعود أصول العرب الأحوازيون إلى قبائل بني كعب وبني طرف (طيء) والزرقان والباوية وبني تميم وبني أسد وبني لام وآل خميس وآل كثير ويشكل العرب حوالي ٧% من سكان إيران وغالبية العرب في شمال الإقليم ينتمون للمذهب الشيعي الذي دخل إليهم من الدولة الصفوية، بينما حافظ سكان جنوب الإقليم على مذهبهم السني بسبب صلاتهم القوية بالإمارات والقبائل العربية غرب الخليج

العربي و يعود تاريخ الأحواز إلى العهد العيلامي قبل ٥٠٠٠ سنة ماضية حيث كان العرب العيلاميون أول من استوطن عربستان واستطاع العيلاميون عام ٢٣٢٠ق.م اكتساح المملكة الأكّادية واحتلال عاصمتها أور ثم خضعت للعرب البابليين ثم الآشوريين، وبعدهم اقتسمها العرب الكلدانيون والميديون ثم غزاها الأخمينيون بقيادة قورش عام ٥٣٩ق.م وتركوا للسكان حرية اتباع قوانينهم الخاصة ثم خضعت المنطقة للإسكندر الأكبر وبعد موته خضعت للسلوقيين منذ عام ٣١١ق.م ثم للبارثيين ثم الأسرة الساسانية التي لم تبسط سيطرتها على الإقليم إلا في عام ٢٤١م وقد قامت ثورات متعددة في الإقليم ضد الغزاة الفرس مما اضطر هؤلاء إلى توجيه حملات عسكرية كان آخرها عام ٣١٠م حين اقتنعت المملكة الساسانية بعدها باستحالة إخضاع العرب، فسمحت لهم بإنشاء إمارات تتمتع باستقلال ذاتي مقابل دفع ضريبة سنوية للملك الساساني ويؤكد المؤرخ الأيراني احمد كسروي أن قبائل بكر بن وائل وبني حنظلة وبني العم كانت تسيطر على الاقليم قبل مجيء الاسلام وبعد الفتح الإسلامي انحلت هذه القبائل في القبائل العربية الأكبر منها والتي استوطنت المنطقة في السنوات الأولى للفتح الإسلامي الذي قضى على الأمبراطورية الساسانية.

وكذلك جنوب الأحواز سكنته قبائل عربية منذ قدم التاريخ، لكن بسبب قحولة تلك المنطقة فقد كان اعتماد عيشهم على البحر يقول الرائد

الدانيماركي كارستن نيبور، الذي جاب الجزيرة العربية عام ١٧٦٢م: لكنني لا أستطيع أن أمر بصمت مماثل بالمستعمرات الأكثر أهمية، التي رغم كونها منشأة خارج حدود الجزيرة العربية، هي أقرب إليها أعني العرب القاطنين الساحل الجنوبي من بلاد الفرس، المتحالفين على الغالب مع الشيوخ المجاورين، أو الخاضعين لهم

وبعد انتصار القادسية قام أبو موسى الأشعري بفتح الأحواز وظل إقليم الأحواز منذ عام ٦٣٧ إلى ١٢٥٨م تحت حكم الخلافة الإسلامية تابعاً لولاية البصرة، إلى أيام الوقت المغولي ثم نشأت الدولة المشعشعية العربية ١٤٣٦-١٧٢٤م، واعترفت الدولتان الصفوية والعثمانية باستقلالها ثم نشأت الدولة الكعبية ١٧٢٤-١٩٢٥م وحافظت على استقلالها كذلك وبعد تأهيل نهر كارون وإعادة فتحه للتجارة وإنشاء خطوط سكك حديدية مما جعل مدينة الأحواز مرة أخرى تصبح نقطة تقاطع تجاري وأدى حفر قناة السويس في مصر لزيادة النشاط التجاري في المنطقة حيث تم بناء مدينة ساحلية قرب القرية القديمة للأهواز، و سميت ببندر الناصري تمجيدا لناصر الدين شاه قاجار وبين عامي ١٨٩٧ - ١٩٢٥ حكمها الشيخ خزعل الكعبي الذي غير اسمها إلى الناصرية.

وبعد عام ١٩٢٠م، باتت بريطانيا تخشى من قوة الدولة الكعبية، فاتفقت مع إيران على إقصاء أمير عربستان وضم الإقليم إلى إيران.

حيث منح البريطانيون الامارة الغنية بالنفط إلى إيران بعد اعتقال الامير خزغل على ظهر طراد بريطاني حيث أصبحت الأهواز وعاصمتها المحمرة محل نزاع اقليمي بين العراق وإيران وادى اكتشاف النفط في الأهواز وعلى الاخص في مدينة عبادان الواقعة على الخليج العربي مطلع القرن العشرين إلى إلى تكالب القوى للسيطرة عليها بعد تفكك الدولة العثمانية ، وبعد ذلك عادت تسميتها القديمة الأهواز بعد سقوط الاسرة القاجارية اثر الاحتلال الروسي لإيران وتولي رضا بهلوي الحكم في إيران ولم ينفك النزاع قائما على الأهواز بعد استقلال العراق حيث دخلت الحكومات العراقية المتلاحقة مفاوضات حول الاقليم وعقدت الاتفاقيات بهذا الصدد منها اتفاقية ١٩٣٧ومفاوضات عام ١٩٦٩ واتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ بين شاه إيران محمد رضا بهلوي ونائب الرئيس العراقي صدام حسين الذي ما لبث أن ألغى الاتفاقية أثناء الحرب العراقية الإيرانية بين عامي ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ غير أن غالبية الأحوازيين قاوموا القوات العراقية، إلا أن فصائل المقاومة الأحوازية برزت منادية بالاستقلال عن إيران معتبرين حادثة ضمهم مع إيران احتلال.

أما إمارة بوشهر فبقيت تحت حكم آل مذكور في ميناء ريك إلى عام ١٧٦٩ حيث احتلتها القوات الإيرانية وطردت العرب منها أما لنجة فقد كانت إمارة القواسم مسيطرة على تلك البلاد، وخاضت حروباً شرسة ضد المحتلين البرتغال والهولنديين واعتنق القواسم

المذهب السني الوهابي ونجحوا في الإغارة على حاكم عمان الأباضي. إلا أن الفرس تمكنوا بمساعدة الإنجليز عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ) من احتلال تلك البلاد بعد قتال شديد مع حاكمها يوسف بن السيد جعفر وطردوا الكثير من العرب منها ومع ذلك فلا تزال غالبية السكان من العرب السنة إلى اليوم رغم الاضطهاد الذي يواجهونه

قتل إيران للعرب في الأحواز

ان السلطات الإيرانية تكثف هذه الأيام خناقها على المدن وأحياء الأحواز، حيث نصبت الكثير من نقاط التفتيش داخل وخارج المدن والأحياء السكينة، وقسمت الأحياء من خلال تواجد مكثف للجنود وقوات التعبئة في المدن والأحياء والشوارع حيث كشف أمين عام الجبهة الديمقراطية الشعبية الأحوازية ، عن جملة ممارسات وصفها بالوحشية تقوم بها السلطات الإيرانية تجاه أبناء الشعب الأحوازي العربي، تتمثل في خطف ناشطين وتعذيبهم في مقار الاستخبارات الإيرانية حتى يلقوا حتفهم، جراء التعذيب ليلقى بجثثهم لاحقا في نهر كارون، حيث يبلغ الأمن الإيراني ذويهم بأنه قد تم العثور على جثث أبنائهم ملقاة في النهر، وعند سؤالهم عن المتسبب في قتلهم، يزعمون بأنهم قد تعرّضوا للتصفية من قبل عصابات مجهولة كما أن الاحتلال الإيراني دائما ما يمارس حملات اعتقالات، فضلا عن تهجير الآلاف من المواطنين العرب من مناطقهم.

وكان أعضاء في مجلس الشيوخ الأمريكي نددوا في رسالة وجهوها إلى وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون بانتهاكات لحقوق الإنسان قالوا إن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد و٢٥ شخصية إيرانية أخرى يرتكبونها.

وكتب السيناتوران الجمهوريان مارك كيرك وجون كيل والديمقراطية كريستين جيليبراند والمستقل جو ليبرمان في الرسالة إننا نشجّعكم على تسمية الرئيس أحمدي نجاد كمسئول عن انتهاكات حقوق الإنسان.

وضع أهل السنة في إيران

أهل السنة ، يشكلون الأغلبية في عدد السكان فى إيران، على الرغم من هيمنة معتنقي مذهب ولاية الفقيه الذي لا يعترف بأهل السنة، ويعاملهم أقل من التعامل الذي يجده المسيحيون، وحتى اليهود الذين يجدون مَن يدافع عنهم مثل الدول الغربية التي تراقب أي خرق من قبل نظام ملالي طهران ضد أي مسيحي أو يهودي، وللمسيحيين - ممثلين فيما يسمى بمجلس الشورى الإيراني - مثل اليهود وفق كوتة وهي نسبة لا تقل بأي حال ولا تخضع لمواصفات ما يسمى بمجلس صيانة الدستور الذي يجب على المرشحين من أهل السنة التقدم إليه عند الترشح لعضوية مجلس الشورى .

والمعروف أن إيران تتكون من قوميات وأعراق مختلفة، وإذا كان

الفرس الذين يشكلون الأغلبية في هضبة فارس، وهي التي تشغل وسط إيران، فإن الأقوام الأخرى وهم الأكراد والبلوش والتركمان والأذريون والعرب يشكلون في مجموعهم أغلبية السكان، وجميع هؤلاء يتبعون مذاهب أهل السنة والجماعة، إلا نفراً قليلاً منهم تشيعوا نتيجة الإغراءات والقمع الذي تمارسه أجهزة نظام الملالي؛ فالأكراد جميعهم من أهل السنة، والبلوش لا تجد بينهم شيعياً، بل هم من المتمسكين بمذاهب أهل السنة والجماعة ويذودون عن مذهبهم بقوة على الرغم من تعرضهم لإجراءات قمع عديدة وحملات تصل في أحيان كثيرة إلى حد القتل .

أما التركمان والأذريون فهم أكثر ارتباطاً بتركيا وأذربيجان السنيتين من ارتباطهما بملالي طهران، ثم العرب الذين يقيمون في أراضيهم الممتدة من شمال الخليج حتى الجنوب الشرقي من إيران، وهم يضمون خليطاً من أهل السنة والشيعة، وقد لاحظ المتابعون للملف الإيراني أن كثيراً من شيعة العرب في الأحواز والمحمرة قد أخذوا يعودون إلى مذاهب أهل السنة بعد أن لاحظوا كيف يُعامل الفرس من حكام إيران الشيعة العرب من أهل الأحواز بسبب عنصريتهم؛ لأن أهل الأحواز يتمسكون بعروبتهم وانتمائهم العربي، فيما يعتبر نظام الملالي الانتماء إلى القومية الفارسية تأكيداً وولاءً لولاية الفقيه،وهذا ما دفع آلاف الأحوازيين إلى العودة إلى مذاهب أجدادهم التي تحولوا عنها بسبب الضغوط والقمع الذي مارسته الأقلية في أيام الشاه، واستمر عليه نظام

الملالي بل صعد منه وزاد عليه، حيث تناقصت مساجد وجوامع أهل السنة ومنع إنشاء الجديد منها، بعد أن تهدم بالقدم، وبعضهم هدمته السلطات، كما أنه، وعلى الرغم من أغلبية أهل السنة فإنه لا يوجد أي وزير أو مسئول سني إيراني رغم تعدد الكفاءات وكثرة حملة الشهادات العليا عند الأكراد والبلوش والعرب والأذريين؛ فأهل الخبرة والعلم منهم مُحارَبون .

النزاع على تسمية الخليج

عرف المسطح المائي الذي يقع إلى الشرق من شبه الجزيرة العربية وإلى الغرب من إيران بأسماء مختلفة عبر التاريخ وفيما تستعمل الدول العربية تسمية الخليج العربي، تصر إيران على استعمال تسمية الخليج الفارسي ترى إيران أن لها الحق في السيطرة على سائر الخليج العربي، وتعتبر سواحله الغربية أنها كانت مستعمرات تابعة لمملكة الفرس قبل الإسلام، فيقول رئيس وزراء إيران سنة ١٩٤٤ حاجي ميرزا أجاسي: إن الشعور السائد لدى جميع الحكومات الفارسية المتعاقبة بأن الخليج الفارسي من بداية شط العرب إلى مسقط بجميع جزره وموانيه بدون استثناء وبدون منازع ينتمي إلى فارس كما أنها تعتبر الخليج الفارسي هي التسمية الوحيدة التي أطلقت على الخليج، وتنكر وجود أي اسم آخر. يقول نبيل خليفة، كاتب لبناني في الشؤون الاستراتيجية، في صحيفة دار

الحياة بتاريخ ٢٠٠٥/٠٨/١٤ ليس الخلاف بين العرب والإيرانيين مجرد خلاف لفظي/اسمي وانما هو خلاف يعكس صراعاً سياسياً وقومياً ذا أبعاد ومضامين استراتيجية، خلاصتها من له الهيمنة على الخليج، على مياهه وجزره ونفطه ومواقعه الاستراتيجية وأمنه وثرواته.

معاداة اللغة العربية :

رغم كون اللغة العربية هي لغة القرآن وعلى كل مسلم أن يتقنها، وكما قال العالم الكبير أبو الريحان البيروني، ديننا والدولة عربيان توأمان، يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع، وخاصة منهم الحيل والديلم في إلباس الدولة جلابيب العجمة فلم تنفق لهم في المراد سوق وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسا، وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفا صفا، ويخطب به في الجوامع بالإصلاح، كانوا لليدين والفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم كما أنه قال : الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية(١) علما بأن هذا العالم الجليل لم يكن عربيا في النسب ولكنه أصبح عربيا في ثقافته وروحه وإنه في الأصل من خوارزم التي

---

١) أبو الريحان البيروني -على أحمد الشحات

هي اليوم جزء من جمهوريتي أوزبكستان وتركمانستان هذا الموقف من المفروض أن يتبناه كل من يعتنق الدين الإسلامي، فما هو موقف ملالي طهران وقم؟

إننا نعلم أن أكثر من ١٥٠ صحافيا عربيا قابلوا الخميني، وكانوا يوجهون له الأسئلة باللغة العربية،ورغم إتقانه للغة القرآن الكريم، إلا أنه كان يجيب دائما باللغة الفارسية وعلى نفس هذا النهج سار جميع رجال الدين الصفويين ومنهم السيستاني وأتحدى من يستطيع أن يجد لنا تصريح أو خطبة لخميني أو للسيستاني أو لخامنئي باللغة العربية.

وطالما ذكرنا خامنئي فسنشير إلى شهادة أحد الكتاب الفلسطينيين في هذا المجال وهو محمد أسعد التميمي حيث يقول:ومن المواقف التي تدل على التعصب القومي لخامنئي والتي شهدتها بنفسي وأشهد الله عليها ففي عام ١٩٩٠ وفي الذكرى الأولى لوفاة الخميني اجتمع والدي الشيخ اسعد التميمي بالخامنئي في طهران وكنت مرافقا له فطلب والدي رحمه الله من الخامنئي أن يكون الحديث بينهما باللغة العربية وبدون مترجم فهي لغة القران وكليهما يتقنها وتكريما للغة القران فما كان من الخامنئي إلا أن انتفض وكأنه استفزه وأجاب بحدة أنا لا أتقن العربية وهو في الحقيقة يتقنها جيدا، وبفضل الله إن والدي رحمه الله افترق مع هذه الثورة فورا عندما اكتشف حقيقتها المذهبية القومية المتعصبة وأنه كان على خطا عندما ظن بها خيرا فكان من أشد أنصارها يجب علينا أن نذكر

بموقف النظام الإيراني العنصري من إخواننا العرب في الأهواز، رغم كون أغلبيتهم من المذهب الشيعي، ولكن سبب معاملتهم بهذه الطريقة لكونهم يرفضون العنصرية الفارسية والمذهب الصفوي(١).

إن هذا النظام قام ويقوم بترحيل الكثير من سكان هذه المحافظة لإسكان فرس بدلهم لغرض تفريس هذه المحافظة العربية التي احتلتها إيران بالتنسيق مع بريطانيا عام ١٩٢٥ كما أن عمليات القتل والإعدام العنصري،المستمر وغير المبرر، وانتهاكات حقوق الإنسان تطال هؤلاء المواطنين دون أن يتحرك الضمير العالمي وتنظيماته، التي تدعي الدفاع عن حقوق الإنسان، لكونها مرتبطة بالصهيونية العالمية حليفة ملالي طهران، وتلتقي معهم على هدف أساس هو القضاء على الأمة العربية أما أن نطلب من الأنظمة العربية أن تقف إلى جانبهم، فهذا حلم لا يحق لأحد منا أن يتخيله، لكونهم جميعا ألاعيب بيد الصهيونية وأمريكا.

قضية الجزر العربية

وهذه الجزر، كما هو معلوم، هي أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى والتي استولى عليها شاه إيران، وكنا نأمل أن يقوم النظام الذي يدعي الإسلام بإعادتها لأهلها وإذا به، ليس يرفض إعادتها فقط ولكنه

---

١) هل الثورة الإيرانية إسلاميه أم مذهبيه قومية؟ -محمد أسعد التميمي

يطالب بضم بعض دول الخليج ومن حقنا أن نتساءل : هل أن ملالي إيران مستعدون للتنازل عنها لتعود إلى وطنها الأصلي؟

من خلال تصريحاتهم الكثيرة هم غير مستعدين لذلك إذ أن ما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة.

وللأسف أن الكثير من العرب والمسلمين السذج لازالوا مقتنعين بأن النظام الصفوي في إيران يدافع عن فلسطين والقضايا العربية فنقول لهم إذا كان هذا النظام يريد الدفاع فعلا عن القضايا العربية والإسلامية فلماذا إذا يتعاون مع الشيطان الأكبر في العراق وأفغانستان، ولماذا حارب مع الأحزاب المرتبطة به المقاومة العراقية البطلة؟ ولماذا لا يمنح أبسط الحقوق القومية لإخواننا العرب في الأهواز؟ ولماذا لا يعيد الجزر الثلاث لأهلها الشرعيين؟

تعتبر قضية النزاع بين دولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية حول جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى مدخلا إلى مرحلة جديدة من التوتر في منطقة الخليج العربي التي لم تعرف الاستقرار خلال أكثر من عقدين من الزمن، ويعود سبب التوتر بين إيران ودول الخليج العربية إلى حقيقة أن إيران ترفض حتى الآن مناقشة موضوع الجزر التي احتلتها عام ١٩٧١، أو بحثه حيث عقدت جلسات عدة لمحاولة حل المشكلة سلميا بين الطرفين، إلا أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل.

وموضوع الجزر العربية بدأ يطفو على سطح السياسة الخليجية والعربية مرة أخرى، إذ تم بحثه في اجتماع القمة الخليجية التي عقدت في البحرين في ديسمبر ١٩٩٤ كما كان للقضية حضور بارز في الدورة التاسعة والأربعين للجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك وتعود أهمية الجزر العربية الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى إلى موقعها الجغرافي المهم، إذ أنها تقع عند مدخل مضيق هرمز في الخليج العربي، الذي يعتبر أحد أهم المضائق في العالم، فالدولة التي تسيطر عليها يمكنها التحكم في منطقة الخليج العربي كله بسهولة والمصادر قد اختلفت في تحديد المسافة بين هذه الجزر والساحلين العربي والإيراني[1]، فالجانب العربي يرى أنها أقرب إلى سواحله بينما يرى الجانب الإيراني عكس ذلك.

١- جزيرة أبو موسى:تقع جزيرة أبو موسى على بعد ٩٤ ميلاً من مدخل الخليج العربي عند مضيق هرمز، وتبعد نحو ٧٥ كم عن الساحل الإيراني، بينما تبعد عن الساحل العُماني نحو ٤٨ كم قبالة إمارة الشارقة، وتبلغ مساحتها ٢٠ كم وكان يقطن جزيرة أبو موسى قبل الاحتلال الإيراني نحو ١٠ نسمة من العرب، وفيها مدرسة ابتدائية وجمرك ومسجد وقصر لنائب حاكم الشارقة، وكان سكان الجزيرة

---

١) عن مقال للدكتور شملان العيسى قسم العلوم السياسية - جامعة الكويت - بتصرف

يعملون في صيد الأسماك والرعي وتتوافر في الجزيرة معادن مثل رواسب أكسيد الحديد والنفط.

٢- جزيرة طنب الكبرى: تقع جزيرة طنب الكبرى على بعد ٥٩ كم جنوب غربي جزيرة قشم، وعلى بعد ٧٨ كم شمال غرب جزيرة الحمراء، يبلغ طول قطرها نحو ٣،٥ كم ومساحتها نحو ٩ كم مربع ويعمل سكانها البالغ عددهم ما بين ٢ - ٧ نسمة في الرعي وصيد الأسماك، ويوجد فيها مدرستان وفنار لإرشاد السفن، ويتوافر فيها النفط، وهي تابعة لإمارة رأس الخيمة.

٣- جزيرة طنب الصغرى: تبعد هذه الجزيرة مسافة ٩٠ كم عن الساحل العربي و١٣ كم عن جزيرة طنب الكبرى، وتتكون الجزيرة من ٣ تلال داكنة اللون،وتسكن فيها طيور بحرية، وهي خالية من السكان، وتتبع إمارة رأس الخيمة وعند سقوط دولة اليعاربة في عمان برز نجم دولة القواسم الذين حكموا الساحل العماني، والذين نشطوا في بعض أجزاء إيران الجنوبية منذ بداية القرن الثامن عشر من خلال فرع قبيلة القواسم التي بدأت من رأس الخيمة إلى الساحل الإيراني .

لقد اعترف المؤرخون الإيرانيون بنشاط القواسم وسيطرتهم على جزء من جنوب إيران والجزر العربية، حيث ذكرت مجلة كيهان العربي تقول: قبل الخوض في أسباب الصراع حول ملكية الجزر الثلاث لابد من العودة إلى أواسط القرن الثامن عشر، فبعد موت نادر شاه في عام ١٧٤٧

انحسر النفوذ الإيراني في منطقة الخليج الفارسي، وهذا الأمر مهدّ الأرضية المناسبة لبدء التوغل القاسمي في المنطقة والقواسمة أو الجواسمة هي عشيرة عربية قطنت الشارقة ورأس الخيمة، ثم توجه فخذ من هذه العشيرة إلى إيران فاستقر في بندر لنكة، واستنادا الى مصدر تاريخي إيراني فإن رئيس هذا الفخذ المدعو الشيخ سعيد بن قضيب استطاع أن يستحوذ على إمرة هذا الميناء لقاء ألفي ريال إيراني، وذلك إبان حكم الزنديين، وبعده تناوب أولاده على إمرة الميناء من خلال تسديد بعض الإيجارات الشهرية، ولما كانت جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى تابعة لبندر لنكة فإن القاسميين استقر لهم الأمر فيها خلال تلك الحقبة وواضح جداً أن المصادر الإيرانية تعترف بسيطرة القواسم على الجزر العربية وغيرها، ولكنها أرادت أن تشوه ملكية العرب لهذه الجزر بالقول بأن حكام هذه الجزر كانوا يتقاضون رواتب من إيران نظير اهتمامهم بميناء لنكه العربي قبل أن تستولي إيران عليه.

لقد امتد نفوذ القواسم في القرن الثامن عشر إلى الساحل الشمالي، حيث استقر بعضهم في منطقة لنكه ووضعوا الجزر الثلاث والساحل المحاذي للخليج تحت سيطرتهم، وحدث في تلك الأثناء تقسيم عرفي عام ١٨٣٥ بين القواسم وهم الحكام الحاليون في الشارقة ورأس الخيمة لملكية جزر الخليج بحيث أصبحت جزيرتا صري وهنجام تابعتين لقواسم لنكه، وجزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى وصيرن ونعير

تابعة لقواسم ساحل عمان، أي رأس الخيمة والشارقة ومن الدلائل الأكيدة على عروبة الجزر العربية هو ما أكده المقيم البريطاني في بوشهر عام ١٨٧٩ حيث أكد أن جزيرتي طنب ولنكه كانتا تابعتين لسيادة القواسم وفي عام ١٨٨٧ احتلت إيران إمارة لنكه العربية ومدت نفوذها وسيطرتها على جزيرتي صري وهنجام، وهي جزر عربية تابعة للقواسم تقع في الغرب من جزيرة أبو موسى ومقابلة لها تماما وفي عام ١٨٨٧ بدأت إيران مطالبتها بجزيرتي صري وأبو موسى، لكن بريطانيا، عبر وزيرها المفوض في طهران ردّت على إيران بالقول بأن الجزر عربية يملكها شيوخ العرب الذين يرتبطون بمعاهدات خاصة مع بريطانيا، وهم تحت الحماية البريطانية، وهي المسئولة عن شئونهم الخارجية .

أما المطالبة الإيرانية الحديثة بالجزر العربية فبدأت في عام ١٩٢٣ عندما اكتشفت شركة الوادي الذهبي كميات من الأكسيد الأحمر في جزيرة هرمز، وأرادت هذه الشركة أن تمد نشاطها إلى جزيرة أبو موسى، فقامت طهران باحتلال الجزيرة ورفع العلم الإيراني وفي عام ١٩٢٥ لكن بريطانيا أعلنت مرة أخرى بأن هذه الجزر عربية ولقد بذلت إيران محاولات عدة أخرى في بداية هذا القرن لاحتلال الجزر، لكن بريطانيا منعتها من ذلك واستغلت إيران انسحاب القوات البريطانية من الخليج وإعلان استقلال دولة الإمارات، فاحتلت الجزر العربية الثلاث في ٣٠ نوفمبر ١٩٧١ بعد ساعات قليلة من استقلال دولة الإمارات العربية

المتحدة، حيث اجتاحت قوات الشاهنشاه جزر الإمارات بدعوى استرجاعها الى الوطن الأم إيران ويجب التذكير هنا بأن شاه إيران قد أعلن بتاريخ ١٩٧١/٢/١٦ عن رغبة بلاده في احتلال هذه الجزر بالقوة، إذا اقتضى الأمر في حالة فشل الوسائل السلمية لتسليم هذه الجزر الى إيران قبل حلول موعد الانسحاب العسكري البريطاني النهائي من الخليج العربي في نهاية تلك السنة ومن المفارقات الغريبة هي ان بريطانيا وعدت إيران بتسليمها جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى في حالة انسحاب بريطانيا من الخليج، وهذا ما ذكره وزير البلاط الإيراني في مذكراته هذا الحوار مع السفير البريطاني في طهران

ونتيجة الوساطة التي قامت بها بريطانيا القوة الحامية لإمارات الخليج آنذاك تم التوصل إلى الإجراءات والترتيبات التالية:

١- إنزال القوات الإيرانية على الجزيرة وقيام هذه القوات باحتلال المناطق التي تم الاتفاق عليها على الخارطة التي أرفقت مع هذه المذكرة.

٢- (أ) ستمارس إيران السيادة التامة ضمن المناطق التي تم الاتفاق على احتلالها من قبل القوات الإيرانية ورفع العلم الإيراني عليها.

(ب) تحتفظ الشارقة بسلطتها التامة على ما تبقى من الجزيرة، وسيبقى علم الشارقة مرفوعا على مركز شرطة الشارقة استنادا إلى الأسس نفسها المعمول بها بالنسبة إلى رفع العلم الإيراني على الأماكن العسكرية

الإيرانية.

٣- تعترف كل من إيران والشارقة بامتداد المياه الإقليمية للجزيرة إلى مسافة ١٢ ميلا بحريا.

٤- تقوم شركة بيوتز غاز أند أويل كومبني باستغلال الموارد النفطية لجزيرة ابو موسى وقاع البحر استنادا إلى الاتفاقية القائمة، والتي يجب ان تقبل بها إيران وتقوم الشركة بدفع نصف العوائد النفطية للاحتياط المذكور مباشرة إلى إيران والنصف الآخر يدفع إلى الشارقة.

٥- يتمتع مواطنو إيران والشارقة بحقوق متساوية للصيد في المياه الاقليمية لجزيرة أبو موسى.

٦- سيتم التوقيع على اتفاقية للمساعدة المالية بين إيران والشارقة وعلى الرغم من أن إنزال القوات الإيرانية على جزيرة أبو موسى قد تم تنفيذا لنصوص هذا الاتفاق إلا أن دولة الإمارات العربية المتحدة وبعض الدول العربية الأخرى شجبت هذا العمل العدواني لاحتلال الجزر، فأصدرت دولة الإمارات بيانا بهذا المضمون يوم ٣ ديسمبر ١٩٧١ انتقدت فيه الاحتلال الإيراني وشجبته لاستخدامها القوة باحتلال جزء من الأراضي العربية، ودافعت فيه عن احترام الحقوق المشروعة وضرورة مناقشة اية خلافات بين الدول وحلّها بالطرق السلمية.

ومن الجدير بالذكر ان توقيع الاتفاق القسري بين حاكم الشارقة وحكام إيران آنذاك، قد تم تحت الضغوط والتهديد باحتلال هذه الجزر بالقوة في

حالة عدم التوصل الى حل مرض لصالح إيران، وفي هذه الحالة من الممكن اعتبار هذه الاتفاقية لاغية في ظل ذلك التهديد المنافي لمبادئ القانون الدولي التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة، استنادا الى المادة ٥٢ من اتفاقية قانون المعاهدات، وكان حاكم رأس الخيمة قد رفض الاستجابة للمطالب الإيرانية بشأن جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى التي احتلتهما إيران في اليوم نفسه بالقوة.

ثالثا: عدم مشروعية التغيرات الاقليمية الناتجة من استخدام القوة في ظل القانون الدولي الحديث

يتميز القانون الدولي الحديث، على نقيض سلفه بتعدد أشخاصه واتساع وظائفه وتنوع موضوعاته فلم تعد الدول هي وحدها أشخاص القانون الدولي الحديث فهنالك كيانات أخرى تؤدي دورا فاعلا ومؤثرا في مجرى العلاقات الدولية، ولها أهلية تملك الحقوق وأداء الالتزامات كحركات التحرر الوطنية والمنظمات الدولية والشركات غير الوطنية، وأيضا الفرد في حالات معينة كلما اتسعت وظائفه، فلم يعد القانون الدولي قانون السلطة وقانون التعايش وقانون التبادل، فهو يؤدي اليوم وظائف اشمل وأوسع، فهو قانون التعاون وقانون التناسق الخ

وقد توجت هذه الجهود بإعلان ميثاق الأمم المتحدة الصادر في السادس والعشرين من يونيو عام ١٩٤٥ التي نصت مادته الثانية في فقرتها الرابعة على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية

عن التهديد باستعمال القوة، أو استخدامها ضد سلامة الأراضي، أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة .

وفي مارس عام ١٩٩٢ قام رئيس إيران هاشمي رافسنجاني بزيارة مفاجئة لجزيرة أبو موسى، وتعتبر هذه الزيارة أول زيارة يقوم بها رئيس إيراني إلى الجزيرة منذ احتلالها وشقيقتيها طنب الكبرى وطنب الصغرى من طرف إيران في عام ١٩٧١وعقب هذه الزيارة، بادرت السلطات الإيرانية إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات الإدارية سعت إيران من ورائها إلى تأكيد سيطرتها وفرض هيمنتها على كل تراب الجزيرة، وعلى الأشخاص المقيمين على أرضها، في خطوة منها نحو ضمها الى أراضيها ضماً واقعياً فمنعت رعايا دولة الإمارات العربية المتحدة الموجودين في الجزيرة، وهم سكان الجزيرة الأصليون، وكذلك الوافدون العرب والأجانب من التجول في الجزيرة إلا ضمن كيلومتر واحد داخل المنطقة الجغرافية التي يوجد فيها السكان العرب ومرافق الخدمات الحكومية الاتحادية في أبى ظبي كما فرضت السلطات العسكرية الإيرانية في الجزيرة سلسلة من الإجراءات الأمنية والإدارية على سفن الصيد التابعة لمواطني الاتحاد، وعلى الخصوص السفن المملوكة لسكان الجزيرة كمنعها من الصيد بحرية في المياه الإقليمية للجزيرة، إلا بتصاريح صادرة عنها تجدد كل خمسة أيام وفي إطار إجراءاتها

الاستفزازية الهادفة إلى التضييق على السكان المحليين في وسائل كسب رزقهم، قامت السلطات العسكرية الإيرانية في الجزيرة بإغلاق جميع المحلات التجارية التي كان يبلغ عددها ثمانية عشر محلا تجاريا، ولم يبق سوى محل واحد هو الجمعية الاستهلاكية التي لا تتوافر فيها احتياجات جميع السكان واستكمالاً لإجراءات التضييق على الحياة للسكان، منعت السلطات العسكرية الإيرانية إدخال أي شيء إلى الجزيرة مهما كان صغيرا، إلا بتصريح من القائد العسكري الإيراني هناك، كما شددت عمليات التفتيش للقادمين من سكان الجزيرة من أبناء الإمارات أو العاملين فيها في ظروف اقل ما يقال عنها أنها لا إنسانية تفرض دونما ضرورة عسكرية ملحة أو دواع أمنية جادة، وفي ظروف مناخية صعبة سواء في الصيف أو في الشتاء (تدل الوقائع التاريخية على أن السلطات الإيرانية لجأت أكثر من مرة إلى مضايقة سكان الجزيرة في مصدر رزقهم بزعم أنهم يستخدمون الجزيرة كمركز لتهريب بعض السلع التي تحتكرها الدولة الإيرانية كالسكر والشاي والتبغ ولم تكتف السلطات الإيرانية بهذا القدر من الاجراءات، بل عمدت إلى منع المواطنين من بناء مساكن جديدة أو مرافق خدمات، أو حتى ترميم بيوتهم القديمة إلا في حدود ضيقة جدا، كما رفضت السماح بتوصيل خدمات الهاتف الى الجزيرة، حيث لا يوجد في المنطقة التي يقطنها العرب إلا هاتفان، احدهما في مخفر الشرطة، والآخر في منزل والي الجزيرة المعين من

قبل حاكم الشارقة، أو السماح بإنشاء العيادات الطبية وعمليات الإخلاء الجوي للمرضى إلى المستشفيات في الإمارات مهما كانت طبيعة الحالة المرضية وفي محاولة من السلطات الإيرانية لفرض سيادة واقعية على الجزيرة قامت بمنع إدخال سيارات تحمل لوحات إماراتية، كما منعت رفع علم الإمارات فوق الجزيرة خلافا لما تنص عليه مذكرة التفاهم بين حكومتي الشارقة (الإمارات) وإيران عام ١٩٧١ ووسعت السلطات من نطاق منطقة وجودها العسكري، وفي الجزيرة التي تبلغ مساحتها ٣٢ كم مربع تقريبا وفي نطاق هذا التوسع، قامت ببناء قرية إيرانية نموذجية، وأقامت نقاطا عسكرية في المنطقة العربية من الجزيرة، واحتلت مواقع في منطقة مناجم أكسيد الحديد الأحمر في الجزر الشرقي منها المعروف بمنطقة الخلوة وتشير مصادر دبلوماسية في أبى ظبي إلى أن إيران عززت قواتها العسكرية في الجزيرة، وزادت أعداد العسكريين من ١٢٠ إلى ٥٠٠ عسكري، ونصبت قواعد لصواريخ سيلك وورم الصينية الصنع ولكن لماذا صعدت إيران من تجاوزاتها في جزيرة ابو موسى في هذا الوقت بالذات؟ سؤال طرحه أكثر من مراقب ومهتم بشئون العلاقات الإيرانية وتردد على لسان أكثر من شخص، لكن الإجابة عنه اختلفت اختلافا ينبىء عن أن السلوك السياسي لدولة ما لا يكون دائما نتاج عامل واحد فقط بل نتاج عوامل عدة تتضافر فيما بينها لتشكل في نهاية المطاف السلوك السياسي النهائي للدولة في علاقاتها الدولية في لحظة

زمنية معينة.

يرى البعض أن تمسك إيران بجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى واستكمال احتلالها لجزيرة أبو موسى هو رسالة تحذير إلى القوميات التي تتشكل منها الدولة الإيرانية، والتي تتطلع إلى الانفصال عن الوطن الأم وإعلان دولة قومية لها على غرار ما يحدث في دول آسيا الوسطى المجاورة لإيران، أو مثلما يجري في العراق وأفغانستان، أو مطالبات الأكراد في تركيا.. الخ ومؤدى هذه الرسالة أن إيران غير مستعدة للتفريط في أي جزء من أراضيها حتى لو كان هذا الجزء بعض جزر صغيرة لا تتعدى إجمالي مساحتها المائة كيلومتر مربع.

ولا يخفي أصحاب هذا الرأي تخوفهم من حدوث مثل هذا الانفصال نظرا إلى تشكل الدولة الإيرانية من قوميات مختلفة، كالفرس والبلوش والأكراد والتركمان والأدريين والعرب، خصوصا أن النزعة الانفصالية قد بدأت تظهر لدى الأكراد الإيرانيين، وأن المضايقات الأمريكية والتركية لإيران في جمهورية أذربيجان تقلق إيران وتقض مضجعها.

مضيق هرمز بين العرب وإيران

بموجب المادة ٣٨ من الاتفاقية الدولية لقانون البحار الذي تم إقراره بتاريخ ٣٠/ ٤/ ١٩٨٢ فإن جميع السفن العابرة للمضايق الدولية، سواء أكانت تجارية أم حربية، تتمتع بحق المرور العابر دون تمييز أو عراقيل وهذه المادة تعلمها جيداً إيران، ولكن الحديث في السياسة يبطل

العمل بالقوانين الدولية خاصة إذا كانت هناك أجواء ملبدة بالتهديدات المتبادلة، حيث يعتبر كل فريق أن من حقه تجاوز الأعراف والقوانين والدساتير وإيجاد المبرر الذي يخدم مصالحه ومنافعه ولعل هذا هو واقع الحال اليوم بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية مدعومة من حلفائها الأوروبيين حيث تتجه الأنظار نحو احتمال إقدام الغرب على فرض عقوبات على صادرات إيران النفطية والتي ردت طهران عليها بالتهديد بإغلاق مضيق هرمز ومعلوم أن معظم الواردات النفطية لأمريكا واليابان وكوريا الجنوبية والهند والصين ومصر وتايوان وتايلاند تمر عبر مضيق هرمز، أي ما يعادل نحو ٤٠ بالمائة من واردات النفط العالمية وفي حال تم إقفال مضيق هرمز فلن تحدث فقط أزمة اقتصادية
عالمية خانقة بل سيرتفع سعر البرميل إلى أكثر من مائتي دولار؛ الأمر الذي سينعكس بدوره على أسعار كل السلع الأخرى سواء كانت أساسية أو من الكماليات.(١)

وستصاب الدول المصدرة للنفط بانتكاسة كبيرة، لأن صادرات نفط السعودية ستتوقف بنحو ٨٠ بالمائة، وصادرات العراق بنحو ٩٠ بالمائة، والإمارات بنحو ٩٥ بالمائة، وقطر والكويت بنحو ١٠٠ بالمائة، وحتى تصدير النفط الإيراني سينخفض بنحو ٥٠ بالمائة يضاف إلى ذلك

١-عن مقال لـ. صالح بكر الطيار- بتصرف

توقف كل المستوردات القادمة إلى منطقة الخليج من الصين واليابان وكوريا الجنوبية وسنغافورة وتايوان وحتى تظهر إيران أنها جادة في تهديداتها فقد عمدت إلى إجراء مناورة عسكرية ضخمة تحت مسمى الولاية ٩٠ والتي اختبرت فيها قدرتها واستعدادها لإغلاق مضيق هرمز عند الضرورة، متحدية بذلك كل القوانين والمصالح الدولية وغير آبهة لكل التهديدات التي أطلقها الغرب ضدها، وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية ونحن ندرك أن المناورات الإيرانية هي سياسية أكثر مما لها أهمية عسكرية، دون أن نتغافل عن مخاطرها على أمن واستقرار منطقة الخليج العربي، ودون أن ننسى أنها ليست الأولى من نوعها بل سبق أن أطلقت طهران على لسان كبار مسئوليها تهديدات عديدة بشأن إغلاق مضيق هرمز ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو إذا كانت إيران بصدد الإقدام على عمل انتحاري، وإذا كانت الولايات المتحدة تهدد وتتوعد دون أن نلمس جدية في ذلك منذ ما يقارب العقد من الزمن، فماذا فعلت دول الخليج العربي من إجراءات وقائية لحماية ثرواتها الطبيعية وللذود عن مصالحها ومنافعها؟ أو بالأحرى ما هي البدائل التي وضعتها دول الخليج العربي في حال إقدام إيران فعلاً على إقفال مضيق هرمز حتى ولو لفترة زمنية قصيرة؟وإذا كانت دول الخليج العربي لا تملك بدائل سريعة فعلى الأقل يجب أن تباشر بإعداد اللازم من خلال:

- الإسراع في تنفيذ مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن

عبد العزيز الرامية إلى تحويل مجلس التعاون إلى اتحاد خليجي، لأن من شأن ذلك توحيد الجهود الدبلوماسية وتعضيد القدرات العسكرية والتكامل اقتصادياً والتضامن من أجل حماية المصالح المشتركة.

- دراسة احتمال تحويل مرافئ إمارة الفجيرة إلى مرافئ صالحة للاستخدام من قبل كل دول مجلس التعاون لأنها، برأي العارفين، البديل الأنسب عن مضيق هرمز من حيث أنها تطل على خليج عمان وعلى بحر العرب، وهذا من شأنه أن يخدم الإمارات والسعودية والكويت وقطر.

فالوقت ليس وقت تنديد في وسائل الإعلام وعبر البيانات والمواقف الرسمية بل إنه وقت البدء بالعمل لأن الخطر وإن كان ليس جدياً اليوم إلا أنه قد يصبح كذلك في المستقبل.

إيران والتدخل في الشئون الداخلية للدول

تكلم أكثر من مسئول إيراني ، بمن فيهم رئيس الانتخابات المزورة أحمدي نجادي ورئيس مجلس الشورى ، ينتقدون عددا من الدول الأوربية لأنها تتدخل في الشئون الداخلية لإيران ، وطالبوها بالكف عن هذا التدخل بوصفه عملا تمنعه المواثيق الدولية ، وهذا كلام حسن ، وأحسن منه أن تلتزم به إيران نفسها ، فإيران أكثر دولة في العالم بعد الولايات المتحدة تمارس تدخل فظ في شئون الدول الأخرى ، بل إن المدهش أن تقدم إيران هذه المواعظ للولايات المتحدة الأمريكية في

الوقت الذي يجتمع فيه ممثلوها مع ممثلي الاستخبارات الأمريكية وقيادات وزارة الدفاع من أجل التدخل في الشئون الأفغانية وإعادة ترتيب أوضاع الحكم وتقسيم النفوذ ، أو بصريح العبارة من أجل قمع انتفاضة الشعب الأفغاني ضد الاحتلال وضد العصابات التي وسدها الحكم رغما عنه ، ليس هذا فقط ، بل إن إيران ارتكبت من الجرائم والموبقات في حق الشعب العراقي والدولة العراقية ما تشيب له الولدان ، فإيران هي اللاعب الأول الآن في الشئون الداخلية العراقية ، وهي تحكم بشكل مباشر نصف العراق تقريبا من خلال رجالها والميليشيات المرتبطة بها تنظيما وتدريبا وتسليحا وتمويلا ، وإيران هي التي تباهي علنا بدورها المحوري في دعم الغزو الأمريكي للعراق وأنها التي تملك أهم الأوراق فيه الآن وتساوم القوى الغربية على ذلك ، من جانب آخر فإيران التي تتدخل بشكل سافر وفج في الشؤون الداخلية اللبنانية لدرجة أن رجالها هناك ، وهم قادة لبنانيون مثل حسن نصر الله ، لا يشعرون بأدنى خجل وهم يذهبون لتقبيل يد مرشد الثورة الإيرانية ويتلقون منه التوجيهات والنصائح ، بل يعتبر نصر الله هذا شرفا له ولحزبه وتستطيع أن تعدد الاختراقات الأمنية والسياسية والإعلامية الإيرانية في البحرين والسعودية واليمن ومصر والمغرب والأردن ، كل هذه الألاعيب والمؤامرات تمارسها السلطات الإيرانية في العالم العربي والإسلامي بصورة يومية دون أن يطرف لها جفن ، أما عندما تقترب نيران التدخل

من نظامها السياسي ويقترب الحريق من رأس هرم السلطة ، ويهدد بنيان الدولة الطائفية ، تتذكر أن هناك أعرافا دولية تمنع التدخل في شئون الدول الأخرى وتطالب الآخرين بالالتزام بها ، هذا على الرغم من أن محاولة إلقاء تبعات الحريق الشعبي المتفجر في شوارع طهران على التدخلات الأجنبية أو على أجهزة الإعلام الأجنبية هو عبث لا يستوعبه منطق ولا عقل ، لأن البريطانيين لم يطلبوا من الملالي أن يزوروا الانتخابات ، والأمريكيون لم ينصحوا مرشد الثورة علي خامنئي بأن يورط نفسه كخصم في النزاع على نزاهة الانتخابات فيعلن انحيازه الصريح لأحمدي نجاد ، حتى من قبل أن يتم تشكيل لجنة إعادة الفرز أو التحقيق في وقائع التزوير ، والفرنسيون لم يكونوا السبب في تورط ما يسمى بلجنة صيانة الدستور ، بأن تعلن ثقتها بنزاهة الانتخابات وتؤكد على شفافيتها وترفض الاعتراف بالتزوير،وبالتالي أدت إلى انسحاب المرشحين الإصلاحيين من حضور جلسة التحقيق ، لأنها تصبح بغير معنى ولا قيمة ، ولأنهما شعرا - إن شاركا - أنهما يمارسان نوعا من التغطية والتبرئة المجانية للمدانين بالتزوير ، مشكلة إيران الحالية أزمة ذاتية الإنتاج ،وورطة حقيقية تسبب فيها أركان النظام نفسه ، ومحاولة إلقاء الاتهامات على الخارج وعلى الآخرين لن يحل المشكلة بل سيزيدها تعقيدا ، ويعمق غوصهم في الوحل ، لأن عليهم إقناع العالم بأن عشرات الملايين من الإيرانيين المؤيدين للإصلاحيين أصبحوا عملاء للخارج ،

ويتحركون بأوامر واشنطن ولندن وباريس وربما أضافوا إليهم تل أبيب إمعانا في الدجل السياسي.(١)

موقف إيران من القضية الفلسطينية

تحتل قضية فلسطين موقعاً خاصاً لدى كل من العرب والإيرانيين وقد تجلت هذه الحقيقة في اهتمامهم الكبير بها منذ بروزها قبل أكثر من قرن في مراحلها المتتالية واحدة تلو الأخرى، وفي بلورتهم هدف تحرير فلسطين، هدفاً عظيماً يضعونه نصب أعينهم ويحلمون بتحقيقه ويسعون له ويبدو ارتباط كل من العرب والإيرانيين بقضية فلسطين قوياً تمتد جذوره في أعماق التاريخ من خلال الذاكرة التاريخية، وهو مستقر في الضمير الشعبي وليس أدل على قوة هذا الارتباط وعمق جذوره من أن التحولات التي أحاطت بشعوب الأمتين العربية والإيرانية، وبقضية فلسطين على مدى أكثر من نصف قرن، لم تؤثر في ثبات هدف تحرير فلسطين، وإن أثرت أحياناً في درجة الاهتمام بقضية فلسطين، نقصاناً أو زيادة.

وحين نتأمل في أسباب احتلال قضية فلسطين هذا الموقع الخاص لدى كل من العرب والإيرانيين نقف أمام سببين رئيسيين، يتصل الأول

---

١) عن مقال لجمال سلطان - بتصرف

بفلسطين، بينما يتصل الآخر بقضيتها.

فلسطين في الضمير الشعبي لكل عربي وإيراني أرض باركها الله، فيها المسجد الأقصى الذي يقترن بالإسراء والمعراج عند المسلم، وفيها كنيسة القيامة التي يحج إليها النصراني، وفيها الحرم الإبراهيمي ومرابع الأنبياء الذين يؤمن بهم المسلم والنصراني واليهودي وزيارتها من ثم حلم يسعى الواحد إلى تحقيقه وهي في الذاكرة التاريخية للعربي والإيراني تقترن بأحداث منذ أقدم العصور تهز أوتار قلبه حفظتها روايات قصص الأنبياء منذ الطوفان كما تقترن بأحداث منذ ظهور الاسلام هي جزء من تاريخه الحي بما حفل به من انتصارات وهزائم وأمجاد ونكسات وقد احتلت أحداث الغزو الفرنجي لبيت المقدس وما حولها ومقاومته بالجهاد، مكاناً خاصاً في الذاكرة التاريخية تشير إليه سيرة الملك الظاهر الشعبية التي بقي عامة الناس في ديار الإسلام يرهفون السمع لرواتها جيلاً بعد جيل إلى وقت قريب ويبرز في هذه السيرة من بين من يبرز الفداوية الذين تنقلوا بين إيران والوطن العربي وأسهموا بدور متميز في مقارعة الفرنجة المعتدين كما يبرز فيها تبادل العطاء بين فلسطين وأقطار عربية أخرى، وبين إيران وبلاد ما وراء النهر، من خلال قصة الظاهر بيبرس نفسه وفلسطين في الحياة اليومية لكل عربي وإيراني جزء من دائرته الحضارية التي تصون مصالحه ومعاشه وكم من التجار تنقلوا بين أرجاء هذه الدائرة وهم يسلكون طريق الحرير منذ قديم الزمان

وطرق التجارة الأخرى، وكم من الرحالة.

برزت قضية فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، بفعل الغزوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية لفلسطين، بينما كان الوطن العربي وإيران وأقطار أخرى من ديار الإسلام ودائرته الحضارية يواجهون تحدي الغزو الاستعماري الأوروبي في موجته الكبيرة الثانية فإيران كانت قد تعرضت لعدوان روسيا القيصرية في الشمال ولتحرشات بريطانيا في الجنوب. وقد فقدت فارس جورجيا وأرمينيا اريفان ولنكوران بعد حربين في ثلاثة عقود في مطلع القرن التاسع عشر،وتم القضاء على الخانات الإسلامية وقمع الحضارة المحلية والشعور القومي بالإرهاب كما يقول جمال حمدان في استراتيجية الاستعمار والتحرير وبدأت روسيا تتطلع إلى احتلال المنطقة التي قال فيها بطرس الأكبر من يسيطر على هذه المنطقة يسيطر على العالم وطوقت روسيا إيران من ثلاث جهات واعتبرت السياسة الروسية الاستعمارية كل ما هو جنوب القوقاز مجالاً حيوياً ومنطقة نفوذ، ورأت في إيران قناة السويس الروسية وسعت إلى فتح ممر لها في المنطقة. وكانت إيران أيضاً قد عانت الكثير من التدخل البريطاني في المنطقة الذي قاده منذ عام ١٧٦٣ مقيم سياسي بريطاني عام في ميناء بوشهر كان بمثابة ملك المنطقة المتوج وارتفعت حمى هذا التدخل بعد غزو بونابرت مصر عام ١٧٩٨، واشتدت مع هذا الارتفاع مقاومة فارس للتدخل

البريطاني وقد تكرر اتهام المقيمين البريطانيين حكومة إيران بالسعي لإضعاف النفوذ البريطاني في مياه المنطقة وبقية الأقطار الإسلامية، ومن هؤلاء جونز الذي كتب بذلك إلى السفير رولنسون في طهران عام ١٨٦٠، كما أورد مصطفى عقيل في كتابه سياسة إيران في المنطقة ١٨٤٨ ـ ١٨٩٦.

كان الوطن العربي قد تعرض هو الآخر للغزو الاستعماري الفرنسي لمصر عام ١٧٩٨، ونجح في صد حملة بونابرت، لكنه لم يلبث أن واجه موجة استعمارية كبيرة مذ عام ١٨٣٠ استهدفت فرنسا فيها الجزائر، واستهدفت بريطانيا فيها عدن وسواحل الجزيرة العربية والمنطقة وما أسرع أن واجه وهو يتابع مقاومته الموجة الاستعمارية الثانية منذ عام ١٨٨١ التي بدأت بغزو فرنسا تونس، ثم احتلال بريطانيا مصر. لم يكن صعباً على العرب والإيرانيين منذ بروز قضية فلسطين وبدء الغزوة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية لبيت المقدس وما حولها، أن يربطوا بين المخططات الاستعمارية في فلسطين وما خططه الاستعمار لموطن كل واحد منهم في مختلف أنحاء الدائرة الإسلامية وقد أدركت خاصتهم، من خلال إمعان النظر وإعمال الفكر ما أدركته عامتهم بحسها الفطري وبما وعته ذاكرتها التاريخية، أن هذا الكيان الصهيوني الذي تعمل القوى الاستعمارية الأوروبية على تثبيته في فلسطين إنما هو في حقيقته قاعدة استعمارية أوروبية أمامية في قلب العالم الإسلامي في

آسيا وأفريقيا كما أدركت الخاصة والعامة معاً ما يعنيه استهداف المقدسات الإسلامية والنصرانية من قصد أوروبا المساس بالإسلام والحضارة الإسلامية وتحطيم معنويات المنتمين إليها وهكذا بدت قضية فلسطين منذ بروزها للعرب والإيرانيين قضية كل واحد منهم، لها بعدها الروحي عند المسلم، فهي قضية إسلامية، وعند النصراني المنتمي إلى الحضارة الإسلامية التي شارك في بنائها، ولها أبعادها الجغرافية والسياسية والاقتصادية والثقافية بفعل ما تضمنه الغزو الصهيوني لفلسطين من تخريب وتهديد.

لقد تأكدت هذه الحقيقة وترسخت، من خلال مسار قضية فلسطين على مدى قرن، والمراحل التي مر بها الغزو الصهيوني، متسللة (١٨٨٢ – ١٩٧١)، ومتغلغلة (١٩١٧ – ١٩٤٨) وغازية (١٩٤٨ – ١٩٦٧). ومتوسعة (١٩٦٧ – ١٩٨٢)، وساعية لقيادة المنطقة وكيلاً عن قوى الهيمنة الدولية (١٩٨٢ -) والتسميات الأربع الأولى لجمال حمدان الذي انتهى من دراسته لإقامة إسرائيل في كتابه استراتيجية الاستعمار والتحرير إلى ثماني نتائج يحددها الجغرافي السياسي فإسرائيل كدولة ظاهرة استعمارية صرف، واستعمارها طائفي بحت، وهو عنصري مطلق، وقطعة من الاستعمار الأوروبي عبر البحار، واستعمار استيطاني في الدرجة الأولى، وعلى الرغم من ذلك يجسم الاستعمار المتعدد الأغراض استيطاني استراتيجي اقتصادي، وهو استعمار توسعي أساساً

شعاره الصهيوني من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل، وأخيراً هو استعمار بالأصالة والوكالة لحساب الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي ويكفي للتدليل على تأكد حقيقة موقع قضية فلسطين الخاص لدى العرب والإيرانيين، أن نستحضر مسارها، ونقف أمام علامات فارقة فيه بالنسبة إلى الوطن العربي وإيران فمؤتمر الصلح عام ١٩١٩ في أعقاب الحرب الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) الذي ثبت الاستعمار الأوروبي في جل الوطن العربي بعد أن فصل بين أجزائه بحدود سياسية وقسمه إلى مناطق نفوذ بين بريطانيا وفرنسا، وحتى إيطاليا، هو الذي رفض مطالب إيران، وهو الذي مكن انجلترا من فلسطين باسم الانتداب لتعمل على تنفيذ تصريح بلفور الصادر في ٢ / ١١ / ١٩١٧ بإقامة دولة يهودية في فلسطين. وقد واجهت انكلترا هذه إيران بمعاهدة استهدفت وضعها تحت السيطرة البريطانية التامة، كما يقول دونالد لبر في كتابه إيران: ماضيها وحاضرها، ومع أن الشاه والحكومة أظهرا استعدادهما لقبولها، إلا أن التحرك الشعبي قاومها ومنع إجازتها.

من هذه العلامات الفارقة، انعقاد المؤتمر الإسلامي العام في بيت المقدس بين ٧و١٧ / ١٢ / ١٩٣١ فقد جاء انعقاده في وقت كانت شعوب الأمة العربية والشعوب الإيرانية مشغولة بالنضال الداخلي من أجل الاستقلال وطرد المستعمر بعد أن فرضت التجزئة على الوطن

العربي وفصل بين أجزاء العالم الإسلامي وبدا واضحاً من أعمال المؤتمر وتداعيات انعقاده والإعلام الذي أحاط به

الذاكرة الموتورة وروح الاستعلاء

إن التوتر الحالي في العلاقات العربية الإيرانية ليس سياسيا فقط، بل له عمقه الثقافي والعرقي الضارب في القدم فقد اشتملت ثقافة كل من العرب والفرس على العديد من الصور النمطية السلبية تجاه الطرف الآخر.

فقد عامل الكثير من العرب الفرس باستعلاء ظاهر، وتسمية الفرس عجما في اللغة العربية تشتمل على معاني الازدراء، إذ إن المعنى الاشتقاقي للكلمة يتراوح بين معنى العِيِّ ومعنى الحيوانية، فلفظ العجُم معناه الحبسة في اللسان، والعجماء البهيمة وبينما يسمي الفرس أنفسهم بني الأحرار يسميهم العرب موالي، وهو لفظ تستعمل في العربية للأرقَّاء السابقين وقد ازدحمت كتب الأدب والأخبار العربية بالقصص التي تحمل صورا نمطية سلبية عن الفرس ونظرة استعلائية تجاههم نجد ذلك مثلا في كتاب الكامل للمبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة وغيرهما ومن طرائف ذلك أن نافع بن جبير وهو رجل من قريش كان إذا مر على جنازة سأل عنها، فإن قيل قرشي قال واقوماه، وإن قيل عربي قال وابلوتاه، وإن قيل

مولى أو أعجمي قال: اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت.

وكان أحد الزهاد من قبيلة بني الهجيم يقول: اللهم اغفر للعرب، وأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك وروى الأصمعي أنه سمع أعرابياً يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة؟ فقال الآخر أرى ذلك والله بالأعمال الصالحة، فقال الأعرابي توطأ والله رقابنا قبل ذلك والأصمعي هو نفسه القائل ثلاثة تحكم عليهم بالدناءة حتى يُعرَفوا رجل شممتَ منه رائحة نبيذ في محفل، أو سمعتَه يتكلم في مصر عربي بالفارسية، أو رأيتَه على ظهر الطريق ينازع في القدَر فانظر كيف وصل الاستعلاء العرقي حد اتهام الشخص بالدناءة لمجرد أنه يتحدث بلغته وفي مقابل هذه الذاكرة الاستعلائية تجاه الفرس التي نجدها لدى بعض العرب حتى اليوم، نجد لدى بعض الفرس ذاكرة ثأرية موتورة تجاه العرب. فالفردوسي مؤلف الشاهنامة التي تعد الملحمة الشعرية الكبرى في الأدب الفارسي يعبر عن احتقار عميق للعرب، ويقول عن الفتح الإسلامي لبلاد فارس لقد بلغ الأمر بالعرب أن ينتقلوا من شرب لبن النوق وأكل الضب إلى الطموح إلى تيجان ملوك الفرس، فتعسا لك أيها الزمن الدوار.

ولا يختلف بعض شعراء الفرس الذين كتبوا بالعربية عن الفردوسي الذي كتب بالفارسية، بل إن التشابه في الصور النمطية وأنماط المجاز

المستعمل تشابه مدهش واقرأ للمتوكلي -وهو من شعراء الفرس الذين عاشوا خلال العصر العباسي- قوله مخاطبا العرب:

أنا ابن الأكارم من نسل جمٍّ ** وحائز إرث ملوك العجمْ

وطالب أوتارهم جهرة ** فمن نام عن حقهم لم أنمْ

فعودوا إلى أرضكم بالحجاز ** لأكل الضِّباب ورعْي الغنمْ

ومثله قول بشار بن برد:

تُفاخرُ يا ابن راعية وراع ** بني الأحرار حسبك من خسار

وكنتَ إذا ظمئتَ إلى عُقار ** شركتَ الكلب في ولغ الإطار

وتتّشح الشمال للابسيها ** وترعى الضأن بالبلد القفار

ولا تزال بعض الصور النمطية السلبية عن العرب شائعة في الأدب الفارسي الحديث، كما شرحته بإسهاب الباحثة الأميركية جويا بلندل في كتابها صورة العرب في الأدب الفارسي الحديث وفي مقابل ذلك دعايات كثيرة لدى بعض القوميين العرب والإسلاميين السلفيين اليوم تتهم الفرس بالجبن والنفاق والإباحية، وحتى بالمجوسية.

والصورة ليست باللون الأبيض والأسود، بل هي صورة ملونة ومركبة إذ توجد صورة إيجابية جدا للفرس في بعض النصوص العربية، وللعرب في بعض النصوص الفارسية فابن بطوطة مثلا يصف في رحلته سكان مدينة شيراز الإيرانية بأنهم حسان الصور نظيفوا الملابس، كما يقول إن أهل شيراز أهل صلاح ودين وعفاف، خصوصا نساءها، وهن يلبسن الخفاف، ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء، ولهن الصدقات والإيثار وليس في معمور الأرض أحسن أصواتاً بالقرآن من أهل شيراز وعلى الجانب الآخر نجد بعض أعظم شعراء إيران -مثل عمر الخيام وسعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي- ضالعين بحب العرب مشيدين بذكرهم وفي بداية ومنتصف القرن العشرين كان هناك اهتمام عميق وتبادل ثقافي ثري بين الطرفين، نجده في دراسات وترجمات الأدباء المصريين المبدعين (عبد الوهاب عزام، أحمد رامي، إبراهيم دسوقي شتا... إلخ) لأعمال أقطاب الشعر الفارسي، كما نجده في اهتمام الإسلاميين الإيرانيين بالفكر الإسلامي الصادر بالعربية، ويكفي أن نعرف أن مرشد الجمهورية الإيرانية الحالي علي خامنئي هو مترجم كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب إلى اللغة الفارسية، وأن د. علي نوري زادة -مستشار الرئيس الإيرانى السابق محمد خاتمى- ترجم أعمال أهم الشعراء العرب المعاصرين إلى الفارسية. بيد أن هذا

التواصل قتلته القطيعة التي بدأت مع بداية الحرب العراقية الإيرانية، وصعود التيارات التكفيرية، وتعمق التغلغل الأمريكي في المنطقة.